هل رُتِّب القرآن على حسب نزوله؟

من المعروف أن ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد على تأريخ نزولها، وإنما اعتمد على بيان رسول الله ﷺ وقراءته للقرآن وتعليمه ذلك للصحابة.

وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نَزَلَ عليه الشيء دعا بعض من يكتب له، فيقول: (**ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**)، وإذا أُنزِلَت عليه الآيات، قال: (**ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**)، وإذا أُنزِلَت عليه الآية، قال: (**ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**)»، [رواه أحمد: ٤٩٩].

ولم يعد تأريخ نزول الآيات والسور محفوظًا على نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تأريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متجهة إلى حفظه على نحو ما يقرؤه لهم النَّبي ﷺ، لكنَّ إشاراتٍ تأريخية ومعنوية ارتبط بها نزول آيات وسور من القرآن ظلت تشير إلى وقت نزولها ومكانه، واعتنى علماء القرآن من الصحابة والتابعين بحفظ تلك الإشارات والبناء عليها، حتى صارت علمًا من علوم القرآن يسمى بعلم المكي والمدني، وأفرده بالتصنيف جماعة من العلماء.

كيف تم ترتيب سور القرآن وآياته؟

الصحيح أن السور رتبت في المصحف بتوقيف من النَّبي ﷺ، وقد ذُكرت بعض السور مرتبة في عدد من الأحاديث، ومنها:

عن عبد الرحمن بن يزيد بن قيس، سمعت ابن مسعود، يقول في (بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء): «إنهن من العِتَاقِ الأُوَل، وهن من تِلادي»، [رواه البخاري: (٤٩٩٤)]، ومقصوده: أن هذه السور من محفوظه القديم.

وقد **أجمع العلماء** أن ترتيب الآيات مأخوذ من النَّبي ﷺ، لم يتدخل فيه أحد.

ما عدد سور القرآن؟

عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع العلماء، أولها (الفاتحة) وآخرها (الناس).

وأطول سورة في القرآن هي سورة (البقرة)، وأقصر سورة هي (الكوثر)، وأطول آية هي آية (الدَّيْن)، وأقصر آية هي (والضُّحى) وما شابهها.

وتنقسم سور القرآن إلى أربعة أقسام، بحسب الطول والقصر:

١- الطوال: وهي سبع سور، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف العلماء في السابعة، فقال بعضهم: الأنفال والتوبة، وقال بعضهم: يونس.

٢- المئين: وهي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها، كالأنفال، ويونس، وهود، والنحل، والإسراء، والمؤمنون.

٣- المثاني: وهي التي تلي المئين في عدد الآيات، وسميت بذلك لأنها تُثنَّى في القراءة، وتُكرَّر أكثر من الطوال والمئين، كالنور، والفرقان، والقصص، ويس، والزمر.

٤- المفصل: وهي السور من سورة: (ق)، أو سورة (الحجرات) إلى سورة (الناس)، وتسميته بالمفصَّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار.

فطواله: من أول (الحجرات) إلى سورة (البروج)، وأوساطه: من

سورة (الطارق) إلى سورة (لم يكن)، وقصاره: من سورة (إذا زلزلت) إلى آخر القرآن.

وأما تجزئة القرآن وتحزيبه وقسمة الأرباع على الصورة التي توجد في مصاحف المسلمين = فإنها اجتهادية، ولها أصل من فعل أصحاب النَّبي ﷺ، لكن على غير هذه القسمة، وكان السلف يختلفون في ذلك، وليس المعنى فيه تعبديًا وإنما هو لتيسير أخذ القرآن.

هل يمكن أن تتعدد أسماء سور القرآن، وكيف تم تسمية سور القرآن؟

كانت أسماء السور معروفة في زمان النَّبي ﷺ، وقد وردت أحاديث كثيرة فيها أسماء للسور، ووردت روايات كثيرة عن الصحابة، وفيها أنهم كانوا يعرفون السور بأسمائها.

وتنقسم السور من حيث التسمية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ثبت عن النَّبي ﷺ، وهذا كثير، ومن أمثلته: عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه.

اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف - تحاجَّان عن أصحابهما.

اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» [رواه مسلم: (٨٠٤)].

القسم الثاني: ما ثبتت تسميته عن الصحابي، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر. قال: قل: سورة بني النضير» [رواه البخاري: (٤٠٢٩)].

القسم الثالث: تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا، وغالب

تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة؛ كقولهم: سورة (أرأيت)، سورة (لم يكن)، وهكذا؛ حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدل عليها، وعلى هذا مضى السلف والخلف.

ومما يحسن علمه أن بعض السور لها أكثر من اسم، وكل هذا واسع، فقد تكون تلك التسميات مما ثبت عن النَّبي ﷺ، أو مما أخذ عنه وعن الصحابة، أو مما اجتهد العلماء فيه.

فسورة الفاتحة - مثلًا - تسمى: (الفاتحة - أم الكتاب - السبع المثاني - الرقية)، وسورة الإسراء تسمى: (سورة بني إسرائيل)، وسورة غافر تسمى بسورة (المؤمن)، وسورة محمد تسمى بسورة (القتال)، وهكذا.

وأمَّا ما تراه مذكورا في فواتح السور في مصاحف المسلمين من أسمائها؛ فذلك مما زاده كتاب المصاحف تعريفًا بالسورة، كما زادوا ذكر المكي والمدني وعدد آي السورة، ولم يكن شيء من ذلك موجودًا في المصاحف العثمانية، فليست تلك التسمية جزءًا من المصحف.

* مراجع إثرائية:

أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة الدوسري، ط. دار ابن الجوزي.

هل لبعض سور القرآن وآياته فضائل خاصة؟

ورد عن النَّبي ﷺ ما يدل أنَّ لبعض السور والآيات فضائل خاصة، وذلك إمَّا بذكر أجر يترتب على قراءتها، وإما بقصد قراءتها في وقت معين، وإمَّا ببيان أثرها الحسي والمعنوي على المسلم.

والملاحظ أن **السور التي ورد لها فضائل أقل من السور التي لم يرد فيها فضائل**، والقرآن كله فاضل باعتبار أنه كلام الله، وباعتبار فصاحته وبيانه، وغير ذلك من أوجه تفضيله.

وبما أنَّ الأصل في التفضيل النقل عن النَّبي ﷺ؛ فإنه يحرم الكذب فيها كما حصل من بعض الزهاد الذين أرادوا الترغيب بالقرآن فاعتمدوا الكذب في هذا الباب، والعياذ بالله.

ومن السور التي ثبت لها فضل:

١ - سورة الفاتحة، وهي **أعظم سور القرآن**، عن أبي سعيد بن المعلى، قال: مر بي النَّبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت، فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد» فذهب النَّبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكرته، فقال: «الحمد لله رب العالمين. هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» [رواه البخاري: (٤٧٠٣)].

٢- سورة البقرة وآل عمران، عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». [رواه مسلم: (٨٠٤)].

ومنها: سورة الملك، والإخلاص، والكافرون، والأعلى، والغاشية.

وكما أن لبعض السور فضائل خاصة، **فلبعض الآيات فضائل كذلك،** وأعظم آية في القرآن هي (آية الكرسي)، ومن الآيات التي لها فضائل: (خواتيم سورة البقرة).

* مراجع إثرائية:

١- فضائل القرآن وسوره وآياته، د. فاروق حمادة، دار القلم.

٢- فضائل القرآن، د. عبدالسلام الجار الله، ط. دار التدمرية.

ما المقصود بموضوعات السور ومقاصدها، وما أثر معرفة ذلك؟

هناك تقارب شديد بين موضوعات السور ومقاصدها، فلكل سورة من القرآن مقصد وغاية، أي: مغزى ترجع إليه معاني السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها.

وقد يكون المقصد هو نفس موضوع السورة، وقد يختلف المقصد عن الموضوع، بأن يكون للسورة الواحدة عدد من الموضوعات، وهذه الموضوعات ترجع إلى مقصد واحد.

ومعرفة موضوعات السورة، ومقصدها، من أهم المعينات على تدبر السورة، وإدراك إعجازها، لأنك تجد أن السورة على اختلاف موضوعاتها تؤدي إلى هدف واحد في تناسق لا بد أن يحكم الناظر فيه استحالة أن يكون هذا الكلام من صنع البشر.

والبحث عن موضوعات السورة، ومقصدها، **لا بد فيه من أمور:**

أهمها: إدراك معاني السورة، وإدراك المناسبات بين الآيات، وإدراك المناسبة بين السورة وما قبلها وما بعدها، وهذا كله يجعل القارئ للقرآن أكثر انتباهًا لما يتلوه، وأشد استحضارًا لما يفهمه.

ومن الكتب المهمة في هذا المضمار:

١- أسماء سور القرآن، وفضائلها، د. منيرة الدوسري، دار ابن الجوزي، وهو أهم كتاب في بابه.

٢- النبأ العظيم، د. محمد دراز، مركز تفكر.

٣- محتويات سور القرآن الكريم، للشيخ أحمد الطويل، دار الوطن.

٤- دلائل النظام، للمعلم الفراهي.

٥- البرهان في تناسب سور القرآن، للإمام ابن الزبير الغرناطي، دار ابن الجوزي.

٦- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، د. فاضل السامرائي، دار ابن كثير.

ومن التفاسير التي اعتنت بإبراز هذه الجوانب:

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام البقاعي.

٢- التحرير والتنوير، للإمام الطاهر ابن عاشور.

٣- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.

٤- موسوعة التفسير الموضوعي، جامعة الشارقة.

ما عدد آي القرآن المجيد؟

اختلف العلماء في عد آي القرآن، والخلاف فيه محتمل مقبول؛ لأنه لا أثر له في أصل القرآن، وإنما يقع أثره في أمور، منها:

١ - أن الوقف على رأس الآية سنة عند بعض العلماء، ومعرفة مكانه يعين على تطبيق هذه السنة.

٢ - أنها تتعلق ببلاغة القرآن، فالوقف على رأس الآية - ولو كان ما بعدها متعلقًا بها من جهة المعنى - مقصد من مقاصد المتكلم، وإلا فما فائدة رأس الآية، لذا فإن من يقف على رؤوس الآي التي تتعلق بما بعدها، فإنه يستجلب ذهنك للتفكير والتدبر في هذه الجملة التي انقطع فيها المبتدأ عن الخبر، وشبه الجملة عن متعلقه... إلخ.

٣- وكان الصحابة رضي الله عنهم يتعاملون به في تقدير زمن بعض الأمور المتعلقة بتوقيت الصلاة، فكانوا يحسبونها بعدد الآي: عن أنس، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة»، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: «قدر خمسين آية»، [رواه البخاري: (١٩٢١)].

وتُنسب مذاهب علم عد الآي إلى جماعة من كبار علماء القراءة في أمصارهم، وتُروى بالأسانيد المتصلة إليهم.

والمذاهب المشهورة في علم العدد ستة هي: العدد المدني الأول،

والعدد المدني الثاني، والمكي، والبصري، والشامي أو الدمشقي، والكوفي.

وسأذكر عدد آي القرآن في كل مذهب من المذاهب الستة:

١- العدد المدني الأول: (٦٢١٧).

٢- العدد المدني الثاني: (٦٢١٤).

٣- العدد المكي: (٦٢١٩)، وقيل: (٦٢٢٠).

٤- العدد البصري: (٦٢٠٤).

٥- العدد الدمشقي: (٦٢٢٦)، وقيل: (٦٢٢٧).

٦- العدد الكوفي: (٦٢٣٦).

وتنقسم سور القرآن من حيث الاتفاق والاختلاف في عد آيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما لم يختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل، وهو أربعون سورة، منها: سورة: (يوسف - النحل - الأحزاب - الحجرات - التغابن).

القسم الثاني: ما اختلف فيه تفصيلًا لا إجمالًا، وهو أربع سور: (القصص - العنكبوت - الجن - العصر).

القسم الثالث: ما اختلف فيه إجمالًا وتفصيلًا، وهو بقية السور (سبعون سورة).

والمقصود بالإجمال: عدد آي السورة، والتفصيل: موطن الاختلاف في عد الآية داخل السورة.

فمثلًا: سورة العصر (٣ آيات) باتفاق علماء العد، فهذا اتفاق في (الإجمال)، لكنهم اختلفوا في تفصيل العد، فبعضهم عد ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ آية، وبعضهم لم يعدها آية، وعد ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ آية، فهذا اختلاف في (التفصيل).

* مراجع إثرائية:

الميسر في علم عد الآي، د. أحمد خالد شكري، ط. معهد الإمام الشاطبي.

ما الحكمة من تكرار قصص القرآن الكريم؟

إذا أردنا أن نُعدد الفوائد التي يضفيها هذا الأسلوب على مجمل ما في القرآن الكريم لعددنا شيئًا كثيرًا ، ولكننا نقتصر هنا على بعض هذه الفوائد:

١- زيادة بعض التفاصيل التي لم تذكرها الآيات من قبل.

٢- تأكيد التحدي الذي جاء به القرآن لمشركي العرب أن يأتوا بشيء من مثله، فقد كشف هذا التنوع في العبارة عن عجزهم عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة عبَّروا.

٣- إذهاب السآمة والملل عن القصة، وذلك أن العرض الجديد يشد الأسماع، ويلفت الأنظار، ويبقي صلة المتعة والفائدة بين القارئ والنص المقدس.

٤- ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النَّبي ﷺ يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد.

٥- التناسق مع الموضوع والمناسبة التي وردت القصة لأجلها، فأحيانًا تقتضي هذه المناسبة إبراز معنى في الحوار الدائر لم يكن من الضروري إبرازه في مناسبة أخرى وردت فيها القصة، وهذه الفائدة باب

واسع من أبواب اكتشاف بحور بلاغة القرآن وإعجازه، وأمثلتها التفصيلية موجودة في بطون كتب التفسير.

٦- ليتهيأ لمن لا يقرأ القرآن كاملًا الوقوف على قصص القرآن، وما تحويه من عبر في الجزء الذي يتلوه.

* مراجع إثرائية:

١- دعوة الرسل، للشيخ محمد أحمد العدوي، اعتناء: عمرو الشرقاوي، ط. مركز تفكر.

٢- القصص القرآني، د. صلاح الخالدي، ط. دار القلم.

هل قصة يوسف عليه السلام هي أحسن قصص القرآن؟

اشتهر بين الناس أنَّ أحسن قصة في القرآن قصة يوسف عليه السلام، والصحيح أنَّها ليست أحسن قصص القرآن، وأنَّ أحسن قصص القرآن **قصة موسى عليه السلام**.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]، فليس المراد به قصة يوسف وحدها، بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص.

ومعلوم أن قصة موسى عليه السلام وما جرى له مع فرعون وغيره، أعظم وأشرف من قصة يوسف، ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن.

وقد تكررت قصة موسى عليه السلام في القرآن، وبسطت أكثر من غيرها، وفيها من العبر والعظات ما يجعلها أفضل قصص القرآن.

بل إن قصص سائر الأنبياء، كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم، أعظم من قصة يوسف، ولهذا كرر الله تعالى تلك القصص، ولم يكرر قصة يوسف.

وهذا مما يدعو المؤمن إلى النظر في تلك القصص، وتأملها.

فما فعلته الأنبياء من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته ودينه، وإظهار آياته وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومجاهدة المكذبين لهم، والصبر على أذاهم =

هو أعظم عند الله، ولهذا كانوا أفضل من يوسف صلوات الله عليهم أجمعين، وما صبروا عليه وعنه أعظم من الذي صبر يوسف عليه وعنه، وعبادتهم لله وطاعتهم وتقواهم وصبرهم بما فعلوه، أعظم من طاعة يوسف وعبادته وتقواه، وأولئك هم أولوا العزم الذين خصهم الله بالذكر في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وهم يوم القيامة الذين تطلب منهم الأمم الشفاعة، وبهم أُمر خاتم الرسل أن يقتدى في الصبر، فقيل له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فقصصهم أحسن من قصة يوسف.

فعلى المؤمن أن ينظر في قصص الأنبياء، وأن يعتبر بها، وأن ينزل ما جرى لهم على حاله = فإنهم خير العالمين، وصفوة الخلق، وهم الذين أمر الله بالاقتداء بهم كما قال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

* مراجع إثرائية:

مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٧/ ١٩ – ٣٤).

ما المراد بالنسخ في القرآن الكريم؟

يطلق النسخ في كتب العلم على نوعين:

١ - نسخ كلي: وهذا الذي يدخل في الأحكام، ولا يجري على الأخبار، وتعريفه: (رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه، بدليل).

٢ - نسخ جزئي: وهذا يدخل في الأحكام والأخبار، وفي هذا توسيع لمصطلح النسخ، فأي رفع من معنى الآية يعتبر - على هذا الاصطلاح - نسخًا، ويدخل في ذلك تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل.

ومن أمثلته:

أن ابن عباس حكم على قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

والآية المنسوخة خبر، وقد تقرر في قواعد النسخ أن الأخبار لا تنسخ.

ولكن إذا حملت النسخ على مطلق الرفع، وأنَّه هنا رفع بعض العموم الوارد على لفظ الشعراء، وبهذا يكون الاستثناء الوارد بعد هذا العموم قد خصص من الشعراء من آمن بالله = صحَّ لك ما ورد من الحكم بالنسخ، وأنه لا يراد به النسخ على الاصطلاح المتأخر الذي استقر عليه علماء أصول الفقه وغيرهم، والله أعلم.

* وقد انتهى النسخ بوفاة النبي ﷺ، ولا يمكن بحال أن يقع نسخ بعد

ذلك، لأن الدين قد كمل واستقر، فلا يجوز لأحد أن يدعي نسخ حكم من الأحكام الشرعية بحجة عدم موائمته للعصر، لأن النسخ موقوف على الدليل الشرعي، وليس متروكًا لأهواء الناس.

فليس لعالم أن يدعي نسخ شيء في القرآن إلا بدليل شرعي.

* والنسخ من الأمور التي يدخلها الاجتهاد، فقد يقول عالم بنسخ آية، ويرى آخرون أنها ليست منسوخة، ولم يقع النسخ في كثير من الآيات، بل في قليل منها، فالأصل: الإحكام لا النسخ، فليس الأمر بمهولٍ، حتى إنه ليظن الظان أن القرآن منسوخٌ كله، فإن هذا خلاف الحقيقة، فإن الحقيقة أن الأقل من آيات القرآن هو المنسوخ، وبعض أنواع النسخ أقل من البعض الآخر.

* وإيماننا بوقوع النسخ في الإسلام، تابعٌ لإيماننا بعلم الله تعالى وحكمته، وهو من أفعال الله تعالى، فالله تعالى قد علم الحكم الأول، وعلم أنه سيُنسخ في الزمان المتأخر، فإيماننا بكمال علم الله تعالى، وإحاطته بخلقه، يجعلنا نؤمن بالنسخ، وأنه من محاسن الشريعة، بل من محاسن الشرائع السماوية.

فإذا آمنت أن الحكم لله، وأنه يعلم من خلق، ويعلم ما يصلحهم = سهُل عليك الإيمان بالنسخ تبعًا لذلك.

* وفكرة النسخ - في ذاتها - فكرةٌ سائغة لأن الحوادث والمستجدات تتطلب حلولًا متنوعة، والله تعالى نص في بعض الآيات على كونها مؤقتة، مثل: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩]، و ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١١٥]، فبعض الأحكام كان لمدة محددة، ينتهي بانتهائها.

* والنسخ انعكاس لفكرة التدرج، والمسلك التدريجي في التعليم والتشريع ليس عيبًا، وإنما هو أنجح المناهج في تكوين النفس الواعية المستنيرة المشبعة بالحكمة، والأمم المنظمة، والخلق المتين.

* وفرض وقوع النسخ لا يترتب عليه وقوع محال عقلي، بل إن العقل ليجد في النسخ مراعاةً لمصالح العباد، ورحمة بهم، وهذا واقعٌ في كثير من وقائع النسخ التي يذكرها العلماء، فكم من حكمٍ خُفف وأثبت مكانه حكمٌ آخر.

وقد تكون المصلحة ابتلاءً يبتلي الله به بعض عباده، ليقول أهل الثبات: آمنا به كلٌّ من عند ربنا، وليعترض عليه السفهاء من الناس.

* ووقوع النسخ في الشريعة، له عدة فوائد تترتب عليه، من أهمها:

١- التدرج في الأحكام على الأمة حتى لا تنفر ويسهل عليها تقبله، كما حصل في تشريع تحريم الخمر، واستخدام هذا الأسلوب في الدعوة، فالداعي يبدأ مع المدعو بالتدرج وتعليقه بالدار الآخرة وزرع الإيمان في قلبه، ثم يخبره بأحكام الإسلام شيئًا فشيئًا.

٢- بيان رحمة الله بهذه الأمة؛ فهو سبحانه يراعي أحوال الناس وعاداتهم ويتدرج معهم رحمة بهم حتى لا ينفروا من الإسلام، بل يحببهم به حتى يكونوا من أهله.

٣- التذكير بنعمة الله لاسيما في بعض أنواع النسخ الذي يكون فيها النسخ من أثقل إلى أسهل كما هو الحال في عدة المتوفى عنها زوجها وغير ذلك.

٤- إرادة الخير بهذه الأمة، فإن النسخ إن كان إلى ما هو أخف ففيه

سهولة ويسر، وإن كان إلى ما هو أثقل ففيه زيادة الثواب والأجر.

٥- يقع في النسخ تطييب نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه بتمييز هذه الأمة على الأمم وإظهار فضلها، ومثاله قصة نسخ استقبال القبلة، حيث كانت حين فرضت الصلاة إلى بيت المقدس، ثم حولت إلى الكعبة.

* والقرآن ينسخ بالقرآن باتفاق العلماء، واختلفوا في نسخ القرآن بالسنة.

* وقد وقع النسخ في القرآن الكريم، والأدلة على وقوعه كثيرة، ويمكننا أن نردها إلى عدة معاقد:

الأول: دلالة الوقوع.

وهو أصدق دليل على وجوده، فقد وقع النسخ في القرآن، ونحن إذا تلمسنا دلالة تلك الآيات على النسخ، لوجدناها نصوصًا صريحة بوقوعه، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، فهذه الآية دليل على وقوع النسخ، لأنها تدل على تغير في القبلة، وهذا التغير نسخ من قبلة إلى أخرى، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وهذا أول نسخ حصل في الإسلام.

هذا من غير ضميمة الأحاديث المصرحة بوجود النسخ في هذه الآيات، فكيف بوجودها؟!

ومن أمثلة الوقوع أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [المزمل: ٢٠]، فهذه الآية نسخت أول السورة، وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ١-٤].

فقد نُسِخ فرض قيام الليل الكائن في أول الإسلام، وأصبح مستحبًا كما ورد في آخر السورة المباركة.

ثانيًا: دلالة الإجماع.

فقد أجمع العلماء على وقوع النسخ في القرآن، وإن اختلفوا في تفصيل الآيات المنسوخة، وهذا الإجماع من أقوى مراتب الإجماع، لأنه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وسائر من بعدهم من علماء المسلمين.

وقد نص الصحابة أنفسهم، وهم أعلم الناس بالقرآن والسنة على أهمية تعلم الناسخ والمنسوخ.

وقد ألَّف العلماء مؤلفات كثيرة في علم (الناسخ والمنسوخ) وهذا دليل عملي على أهمية هذا العلم، ومن باب أولى على وقوعه، ووجوده.

ومن أمثلة ما أجمع العلماء على نسخه، نسخ إيجاب الصدقة بين يدي رسول الله ﷺ الثابت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ

فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المجادلة: ١٢].

حيث نسخها قوله تعالى: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المجادلة: ١٣].

ثالثًا: دلالة القرآن.

فقد ذكر الله النسخ في عدد من الآيات، من أظهرها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

فهذه الآيات تتحدث عن وجود النسخ ووقوعه في القرآن الكريم.

- ومن المهم أن نعلم أن سور القرآن، من حيث وجود الناسخ والمنسوخ فيها، فيما ذكره بعض العلماء، إلى أربعة أقسام:

الأول: قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ؛ وهو ثلاث وأربعون سورة: (الفاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصف، والجمعة، والتحريم، والملك، والحاقة، ونوح، والجن، والمرسلات، وعمَّ، والنازعات، والانفطار، وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن، إلا التين والعصر والكافرون).

الثاني: قسم فيه الناسخ والمنسوخ، وهي خمس وعشرون: (البقرة،

وثلاث بعدها، والحج، والنور وتالياها، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورى، والذاريات، والطور، والواقعة، والمجادلة، والمزمل، والمدَّثر، وكُوِّرت، والعصر).

الثالث: قسم فيه الناسخ فقط، وهو ستٌّ: (الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والأعلى).

الرابع: قسم فيه المنسوخ فقط، وهو الأربعون الباقية.

* ويقع النسخ في القرآن على وجوه:

١- نَسْخ الحكم، وبقاء التلاوة: فتبقى الآية في المصحف، ولكن لا يعمل بها، مثاله: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥]، نسخ بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: ٢]، ونسخ بالرجم.

٢- نَسْخ التلاوة، مع بقاء الحكم: فترفع الآية من المصحف، ويبقى العمل بحكمها، وهذا النوع قليل الوجود في النصوص المنقولة إلينا، وثبوت حكمه مع نسخ تلاوته إنما عرف عن طريق النقل الثابت، ومثاله: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله، ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله» [رواه البخاري: (٦٨٢٩)، ومسلم: (١٦٩١)].

ومن الناس من ذهب إلى رد وجود هذا النوع من النسخ، وتعرض لبعض

الأحاديث الواردة بذلك بالتضعيف، ولأخرى بالتأويل، ولم يتعرض لطائفة أخرى منها وهي ثابتة صريحة، كهذا الذي ذكرت، والصواب ما بينت من ثبوت هذا النوع من النسخ، واندراجه تحت القول بصحة النَّسخ، وهذا أصح مَسْلكًا من رد الصحيح الثابت بغير حجة مع إمكان حمله على معنى صحيح.

٣- نسخ التلاوة والحكم:

وهو نوعَان:

الأول: ما بلغنا لفظه أو موضوعه، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات»، [رواه مسلم: (١٤٥٢)].

والثاني: ما بلغنا مجرد الخبر عنه ورفع منه كل شيء، كما في حديث زر ابن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب: «كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كأين تعدها؟ قال: قلت له: ثلاثًا وسبعين آية، فقال: قط؟ لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة»، [رواه أحمد في زيادات المسند: (٢١٢٠٧)].

* مراجع إثرائية:

١- النسخ في القرآن، د. مصطفى زيد، ط. دار اليسر.

٢- الآيات المنسوخة، د. عبدالله الأمين الشنقيطي، ط. مكتبة ابن تيمية.

٣- محاضرة: الرد على من أنكر وقوع النسخ في القرآن، للشيخ د. الشريف حاتم العوني.

هل يقع التعارض في القرآن الكريم؟

لا يوجد تعارض حقيقيٌ في القرآن، هذه حقيقة لا جدال فيها، لأن الله أخبرنا بذلك، فالقرآن لا ريب فيه، ولا يمكن أن يتطرق إليه الاختلاف بوجه من الوجوه؛ لأن الله سبحانه حين أنزل القرآن للناس، جعله هاديًا للتي هي أقوم، جعله نورًا يهتدي به الناس ليخرجوا من الظلمات.

ومن تمام كون القرآن نورًا وهدى ألا يكون فيه تعارض ولا اختلاف بوجه من الوجوه؛ لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

فالذي يمكن حصوله أن يتوهم العقل وجود تعارض بين آية وآية، أو بين آية وحديث، أو بين حديث وحديث، أمَّا أن يحصل هذا التعارض حقيقة فلا يمكن بحال من الأحوال.

* من حِكَمِ حصول توهم التعارض:

١- لا شك أن عقول بني آدم متفاوتة، وعلمهم متفاوت كذلك، ومن تمام حكمة الله تعالى في خلقه أن يُظهر فضل أهل العلم، وشرفهم، فإذا توهم متوهم حصول التعارض وكشف العالم ما يزيل هذا التعارض؛ ظهر فضله، وتبينت مكانته.

٢- ومن حكمة الله أن ينشأ في العقل توهم للتعارض ليتحفَّز العقل للبحث عما يزيل هذا التعارض، فيكون باعثًا له على التعلم، ومعرفة أهل العلم، والأخذ عنهم.

٣- وقد ينشأ توهم التعارض لأجل خلل في القلب، وخلل في تلقي الوحي، وإنك إذا تأملت العوائق التي ذكرها القرآن متعلقة بفهمه = ستجد أنه أثبت عائقًا، ونفى عائقًا:

- فأما العائق الذي نفاه، فهو: وجود الاختلاف فيه.

- وأما العائق الذي أثبته، فهو: إغلاق القارئ قلبه.

ونحن إذا تأملنا قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، سنجد أنه أرجع الخلل إلى القلوب، لأن القلب إذا تأثر بالهوى قاده إلى الزيغ والانحراف عن طريق الوصول إلى المعنى الصحيح.

٤- ولذلك أمر الله بترك العجلة في تلقي الوحي، وأن يُتلى القرآن على مُكث ومَهَل، وأن يرجع غير العالم إلى العالم لإزالة ما يلتبس عليه فهمه في القرآن المجيد.

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦].

ولا يخلو كتاب من كتب تفسير القرآن من إزالة ما قد يوهم التعارض بين آيات القرآن المجيد.

وإذا حصل إشكال في توهم التعارض بين آية وآية، أو بين آية وحديث،

أو بين حديث وحديث، فإن هناك طرقًا لدفع هذا التوهم، منها:

١- تحرير وجه التعارض.

٢- جمع الآيات في نفس الموضوع.

٣- النظر في السياق.

٤- تلمس الأحاديث والآثار الصحيحة لدفع التعارض.

٥- إعمال قواعد الترجيح.

فإن حصل لك إشكال، ولم تستطع الوصول إلى ما يدفع هذا التعارض فسَلْ أهل العلم، وسيجيبونك بدفع ما توهمته من تعارض.

وقد كان النبي ﷺ يزيل للصحابة ما قد يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم، وبين آيات القرآن وكلامه، وكان الصحابة يفعلون.

وقد أتي رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما ليعرض عليه ما توهمه من تعارض في القرآن الكريم، فقال الرجل لابن عباس: «إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي.

١- قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فقد كتموا في هذه الآية.

٢- وقال: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧] إلى قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [فصلت: ٩] إلى ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء.

٣- وقال: وكان الله غفورًا رحيمًا، وكان الله عزيزًا حكيمًا، وكان الله سميعًا بصيرًا، فكأنه كان، ثم مضى».

هذه نماذج ثلاثة، لموهم التعارض بين آيات القرآن الكريم، وقد أجاب عنها ابن عباس إجابة شافية، فقال رضي الله عنه:

«١- لا أنساب في النفخة الأولى: ثم نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

٢- وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم وقال المشركون تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثًا وعنده ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: ٤٢] الآية.

٣- وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين، وكان الله غفورًا رحيمًا، سمى نفسه بذلك، وذلك قوله: إني لم أزل كذلك».

ثم قال ابن عباس للرجل في وصية جامعة لكيفية التعامل الصحيح مع موهم التعارض:

«فإن الله لم يرد شيئًا إلَّا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلًّا من عند الله».

فإنَّ كلًّا من عند الله!